المقتطف

الجزء الخامس من السنة التاسعة عشرة .

مايو (ايار) سنة ١٨٩٥ الموافق ٦ ذي الحجة سنة ١٣١٢

المباني المصرية وانس الوجود

اذا تغلب شعب على شعب اقتدى المغلوب بالغالب في ما يسهل عليهِ تغييرهُ من مقوِّمات حضارتهِ جرياً على سنَّة طبيعيَّة . وفيما تكون هذه السنَّة جارية مجراها تقوم في النفوس قوة ادبيَّة تدعو اصحابها الى اختيار الحسن وحفظهِ سواء كان خاصًّا بالغالب او بالمغلوب ولا سيما اذا كان الفريقان حرَّين مختارين فتتغلب المزايا الفاضلة في كليهما على مادونها

اعتبرْ ذلك في سكان هذا القطر فانهم من عهدهم الاوَّل تخلَّقوا باخلاق كثيرة حسب طبيعة اقليمهم واحوال معيشتهم وما وصل اليهم من عمران الامم المجاورة لهم او الَّتي اتَّصلوا بها بالحرب او بالتجارة . ثم لما تغلب عليهم الفرس واليونان والرومان وكلهم اهل حضارة مثلهم غيروا من عوائدهم واحوالهم الاجتماعيَّة ما سهل عليهم تغييرهُ اقتداءً بالغالبين واقتدى الغالبون بهم في بعض ما ابت نفوسهم نسخهُ لحسنهِ . ومن ذلك بناء المعابد على النسق المصري القديم وزخرفة جدرانها بالصور والنقوش والكتابات المصريَّة فان اليونان والرومان كانوا اهل صناعة رائعة وهياكلهم وصورهم من الطراز الاول لهذا العهد ومع ذلك لم ينسخوا اشكال المباني المصريَّة بل جروا عليها في ما بنوهُ من الهياكل في هذا القطر لا تزلُّفاً الى المصريين بل لانهم كانوا متحيِّنين في الاديان يحترمون دين سواهم كما يحترمون دينهم ولانهم رأوا في هياكل المصريين جلالاً وجمالاً خاصين بها فابت نفوسهم نسخها . وزد على ذلك ان الكهنة والولاة المصريين ارادوا ان يتزلفوا الى

اولئك الغالبين فاقاموا لهم التماثيل ورسموا صورهم في هياكلهم كما كانوا يرسمون صور فراعنتهم الاولين فرآها الغالبون وسرُّوا بها شأن كل مفاخر صاعٍ وراء المجد والابهة ثم انتشرت الديانة المسيحيَّة في هذا القطر وشاع الزهد والتقشف بين دعاتها من

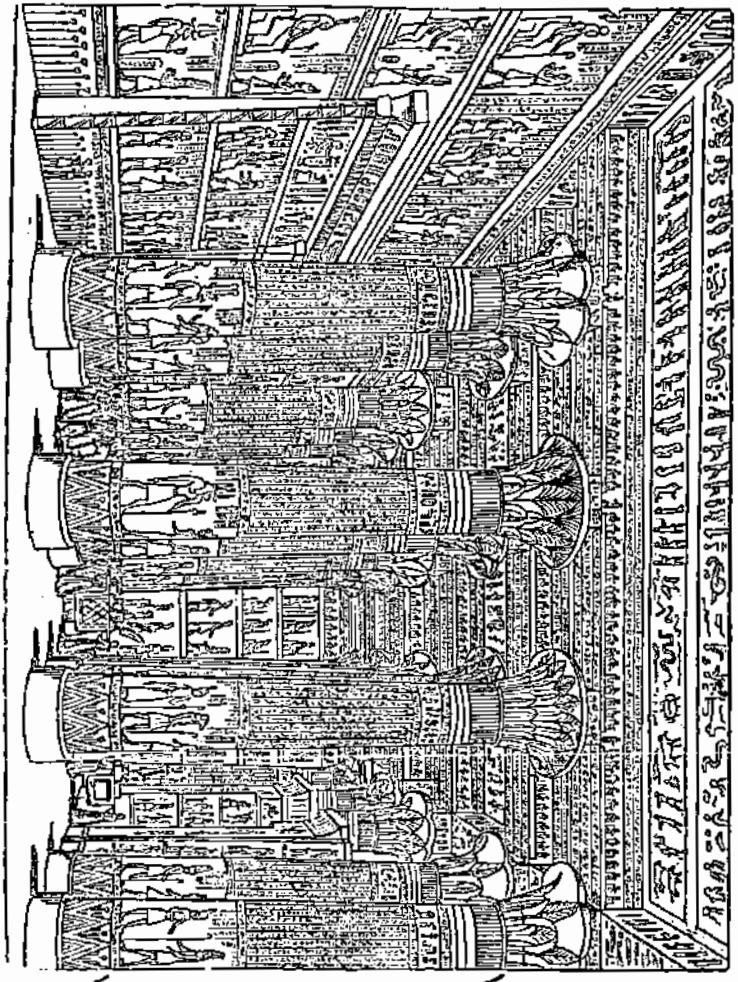

رواق هيكل اسنا

القسوس والرهبان فاهملوا الهياكل القديمة او طلوا جدرانها بالشيد لكي لا تظهر نقوشها الوثنيَّة ونكبوا عن كثير من العوائد القديمة المحرَّمة في ديانتهم . وجرى اهل الاسلام مجراهم في تكسير الاصنام وهدم الهياكل الوثنيَّة الَّا ما كان منها بعيدًا عن العمارة كهياكل دندرة وطيبة وانس الوجود

ومن يرى الهياكل المصريَّة الباقية الى الآن يحسب انها كلها من المباني القديمة

لانها مبنيَّة على النسق المصري القديم الخاص بهذا القطر. وهذا خطأ لان جانباً كبيرًا منها يوناني او روماني بني على عهد اليونان او الرومان لمَّا كانوا متسلطين على هذا القطر. فهيكل اسنا المشهور بجمال رواقهِ كما ترى في الشكل الاول بُني اولاً في عهد الملك تُتمس الثالث وهو من الملوك المصريين وقد ارتقى الى سدَّة الملك قبل المسيح بنحو الف وستمئة سنة ولكن الرواق المرسوم ههنا بني على عهد قياصرة الروم وعليهِ اسم طيباريوس وجرمانيكوس وادريانس وانطونيوس الذين نشأوا في القرن الاول والثاني للمسيح. ونقوشهُ تدلُّ دلالة واضحة على ان الصناعة اليونانيَّة كانت قد اثَّرت في الصناعة المصريَّة تأثيرًا كبيرًا الاَّ ان تأثيرها اقتصر على الاعراض ولم يتناول الجواهر. فأُبدل النيلوفر في تيجان الاعمدة بسعف النخل ونُزِّلت الالهة المصريَّة من مقامها الاسنى ومُزِجت بالناس فشاركتهم في افراحهم واتراحهم. ونُوِّعت الصور والنقوش تنويعاً جميلاً وطليت بالادهان البديعة. ولم تزل على طلاوتها وباهر الوانها مع ما مرَّ عليها من الاعوام الطوال لكن شكل الايوان كلهِ مصري حتى يظن مَن يراهُ اول مرة انهُ من مباني المصريين القدماء

وقد وقفنا في هذا الايوان منذ اربع سنوات فاعجبنا باتساق نقوشهِ واحكام رسومهِ وطلاوة ادهانهِ وعجبنا من ان اسمعيل باشا (الخديوي الاسبق) اهتمَّ بتمثيل المباني الايطاليَّة في بلادهِ ولم يهتم بتمثيل هذا الايوان في قصر في قصورهِ. ولو فعل ذلك لعاشت الصناعة المصريَّة القديمة الَّتي هذَّبها الذوق اليوناني وزادت بهجتها ولم ينقص شيء من عظمتها. ولا يُعترض على ذلك ان في المباني المصريَّة صور آلهة ومعبودات لا يحسن تمثيلها لعلاقتها بعبادة الاوثان لانهُ يسهل ابدالها بصور مشاهير الابطال وتماثيل ربَّات الجمال من غير خلَل في الشكل المصري القديم

ومن هذا القبيل هيكل ادفو الذي عجزت عنهُ انياب الدهر فقد شرع في بنائهِ بطليموس الثالث سنة ٢٣٧ قبل المسيح واتمَّهُ بطليموس الثالث عشر سنة ٥٧ قبل المسيح وهو مثل الهياكل المصريَّة القديمة الَّتي سيأتي طيبة وكرنك لكنهُ اقل منها ضخامة واكثر اتساقاً الاَّ ان الناظر اليهِ لا تُمثَّل لهُ صور البطالسة اليونانيين بل صور قدماء المصريين فهو مصري من هذا القبيل ولو خالف المباني المصريَّة القديمة في نحافة نقوشهِ وقلة غورها

وقد يعجب القارئ اذا علم ان هيكل انس الوجود الذي شاع ذكرهُ في هذه الايَّام لعلاقتهِ بانشاء الخزان وقامت قائمة علماء الآثار المصريَّة في انكلترا وفرنسا وشدَّدوا

النكير على الحكومة المصرية ورجال الري لانهم فضّلوا مصلحة ملايين من سكان هذا القطر على حفظ آثارٍ لا يحسب مصريًا الّا لانهُ يشبه المباني المصرية

وانس الوجود جزيرة صغيرة بجانب شلاّل اصوان طولها نحو ٤٠٠ متر وعرضها نحو

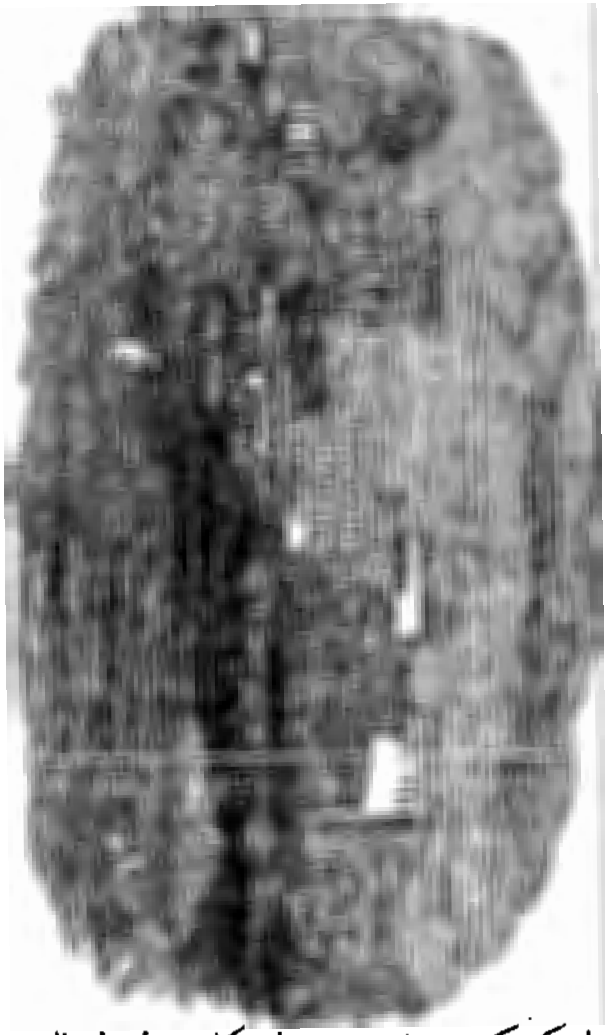

انس الوجود

١٣٠ مترًا فيها هيكل كبير ورواق منفرد بجانبهِ كما ترى في هذه الصورة وقد شرع في بناء هيكلها بطليموس فيلادلفس الذي ولي القطر المصري سنة ٢٨٦ قبل المسيح ثم اتمّهُ الملوك الذين خلفوهُ . واكثر ما فيهِ من النقوش والتماثيل من عهد قياصرة الروم كاغسطس وطيباريوس. والظاهر ان البطالسة ارادوا ارضاء الكهنة المصريين فبنوا لهم

هذا الهيكل ومزجوا الصناعة المصرية القديمة بالصناعة اليونانية ولكنهم اعتدوا على الحقيقة وكذبوا على التاريخ فترى على جدرانهِ صور البطالسة وقد امسكوا بنواصي الاسرى وهموا بضرب اعناقهم مع انهم لم يخرجوا من قصورهم في الاسكندرية الاَّ للصيد او للنزهة. وكأنهم ارادوا ان يتمثلوا برعمسيس البطل الباسل فاكتفوا من التمثيل بالصور ونسوا ان التاريخ اعدل من ان يلبسهم ثوب الفخار وهم لا يستحقون الاَّ اخلاق العار

وقد اقلق الحكومة المصرية ما سمعتهُ من ضوضاء علماء الآثار فاعتمدت على جعل سد الخزان قليل الارتفاع حتى لا تضر مياه النيل هذه الجزيرة ولا تلحق بآثارها ضررًا. وربما انفقت الاموال الطائلة على وقاية آثارها او على نقلها من مكانها الى مكان آخر. ولا ندري كيف تراعي مصلحة نفرٍ من العلماء الذين همُّهم الوحيد البحث والتنقيب وتأليف الكتب للتعيُّش او للشهرة وتغضي عن مصلحة الملايين من رعاياها الذين اذا أُنشئ الخزان وادرَّ عليهم الخيرات كما يقدّر الخبيرون حسنت حالهم وزادت راحتهم ورفاهتهم ونالوا من الفوائد الادبيَّة والمادية ما لا تقابَل معهُ فائدة اولئك العلماء الاَّ كما تُقابَل القطرة بالبحر والدقيقة بالدهر

ولا ندري ما ذا يخسر العلم والعمران لو زال هيكل انس الوجود من الوجود فانهُ من حيث الصناعة لا يقابَل بالمباني المصريَّة الاصليَّة ولا بالمباني اليونانيَّة. ومن حيث التاريخ ليس فيهِ شيءٌ يستحق الذكر الاَّ وقد استنسخهُ الباحثون مرارًا ويسهل استنساخهُ الآن ورسمهُ بالفوتوغراف رسمًا محكمًا وحفظهُ في بطون الكتب والدفاتر الى ما شاء الله حيث تحفظ آيات الوحي واسرار الحكمة وقواعد العلم والفلسفة. اما اذا أُعتُرض على انشاء الخزان من وجه هندسي او سياسي فيُنظَر في الاعتراض مجرَّدًا عن هذا الهيكل وقيمتهِ الصناعيَّة والتاريخيَّة

هذا وقد قابلنا بعض المهندسين وعلماء الآثار الذين جاؤوا هذا القطر في الشتاء الماضي وصعدوا الى جزيرة انس الوجود وامعنوا نظرهم في آثارها فأخبرونا انهم عادوا مقتنعين ان موقعها احسن موقع للخزان ولا يؤسف عليها اذا زالت بهِ

فعسى ان يعيد وزراؤنا نظرهم في هذه المسألة ولا يحجموا عن عمل منهُ النفع الاكيد للملايين من السكان